الرياض

الثلاثاء 17 ربيع الأول 1426هـ - 26 إبريل 2005م - العدد 13455

كلمة الرياض

بيان واقعي لرحلة تاريخية

البيان المشترك بين سمو ولي العهد والرئيس الأمريكي، هو انتصار للواقعية السياسية، وأنه مهما جاءت الأحداث مخالفة لتوجهات البلدين، فإن نمط العلاقة يبقى مدار حوار منتظم وإدراك لجميع الأسباب، ومع أن زلزال أحداث 11 سبتمبر أوجد خطوط تقاطع حادة، إلا أن فهم طبيعة الحدث، وأسبابه، ومن قام به حين استهدف كلا الدولتين ومركزهما الدولي، فإنه لم يكن سهلاً فهم مثل هذه القضية، لولا مبدأ الثقة الذي بني لأكثر من نصف قرن، وتأسس على وعي تام بالمصالح، والأهداف، وتلاقيهما عند نقاط مشتركة، وعدم انسياق أي من البلدين وراء عواطف التهييج وردود الأفعال الانفعالية.

نعم جاءت الصور المتلاحقة سلبية بعد تلك الأحداث القاتلة ونظرنا للمواقف من مختلف الزوايا، حتى أن هناك جهات أعلنت موت العلاقة بين البلدين، ومع ذلك، ومن خلال القواسم التي تربط البلدين، وموازين قوتهما، جاء البيان ملبياً لاحتياجاتهما ونظرتهما تجاه المنطقة، والعالم، وكل ما يتصل بدوافع التغيير، والإصلاح، ونمط السياسات التي تجعل مهمة البلدين كبيرة..

كان الرصد العام لنتائج هذه الزيارة مختلفاً، بعضهم قاسها بصراعات الماضي أثناء الحرب الباردة، وآخر اعتقد أنها (بروتوكولية) أو تجميلية مع بقاء التوتر قائماً، وثالث وضعها في موازين تغيير القوى، وأن المملكة في محيطها تؤدي دوراً محورياً ورئيسياً، أي أن حاجة البلدين لاستراتيجية واحدة، سوف تكسب المنطقة موقعاً أكثر هدوءاً، وهذا ما حدث بالفعل، ومثل هذا التقدير من دولة عظمى للمملكة يجعلنا على ثقة أن التواصل الذي توّجه الأمير عبدالله بمواقفه المتوازنة، وصدق طرحه، ومبادراته التي جاءت أهدافاً لتحقيق السلام، ومكافحة الإرهاب، وقبول الإصلاح وفق مفهوم كل بلد وخصوصيته، أعطى الدرجات نفسها من الزخم، وجعل الرئيس الأمريكي على يقين أن درجات النجاح في خطط البلدين، تعالت على السلبيات، وكل ما كان يحيطها من غموض..

أمريكا، اختلفنا، أو التقينا حول رؤيتها وتلاصقها بأحداث المنطقة، فهي دولة عظمى لها محددات في سياستها، ورؤيتها، ومجالها الحيوي، وبالوقت نفسه لديها مصالح لا تتجاوزها بسهولة، بالوقت نفسه أيضاً تؤكد دائماً أن النوايا الحسنة ليست فقط ما يؤسس العمل الواحد، بل التفاضل، والتكامل في مبنى هذه المصالح سواء كانت سياسية، أو اقتصادية أو عوامل جغرافية متحركة، ولهذا المنطق جاء البيان، ليطرح سلسلة طويلة من تأكيد المبادئ والتعاون الطويل، والتحول إلى ميادين السلام والتنمية بحسبانهما عماد الاستقرار، وقد كان سمو ولي العهد، صاحب هذا التأسيس لبناء خارطة عربية في المنطقة تقوم على التكافؤ والسلام، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في كل المجالات.